وشعرنا در وآخر بارد ، بان جهله وظهر نقصه : وهو ايضا اذا اراد ان يصنع قصيدة أو ينشيء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر وخلط الدُرّ بالعرر واستعمل الوحشي المنكر ، فجعل نفسه مهزأة الجاهل وعيرة العاقل كالفضل ابن جعفر في قوله :

حلفت بما أرقلت حوله ... عمرجمة خلقها شيظم
وما ابهرقت من تنوفية ... بها من وحى الجن زيزيتم (١)

وانشده ابن الاعرابي فقال: ان كنت كاذبا فالله حسيبك :وكما ترجم بعضهم كتابه إلى بعض الرؤساء : «مكركسة ذربوتا ومحبوسة بسربتا » فدلّ على سخافة عقله واستحكام جهله، وضرّه القريب الذي اتاه ولم يضعه ،وسمعه ولم يرفعه، فما فاته هذا العلم وتخلف عن هذا الفن:

واذا اراد ايضا تصنيف كلام منثور أو تاليف شعر مفلوم وتخطّى هذا العلم ساء اختياره وقبحت آثاره فيه ، فأتى الردىء المرذول وترك الجيد المقبول ، فدلّ على قصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه »(٢):

ويتصل بهذا الغرض رواية الادب ومعرفة الجيد الذي يُروى والردىء الذي ينبغي ان يطرح: وقد اشار العسكري إلى ذلك بقوله : «وقد قيل :اختيار الرجل قطعة من عقله، كما ان شعره قطعة من علمه: وما اكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرذيلة، منهم الاصمعي في اختياره قصيدة الرقاش:

هل بالديار أن تجيب صمم ... لو ان حيا ناطقا كلم

ولا اعرف على اي وجه صرف اختياره اليها وماهي بمستقيمة الوزن ولا موقفاروي ولا سلسة اللفظ ولا جيدة السبك ولا متلائمة النسج، وكان الفضل يختار من الشعر

---

(١) أرقلت : أسرعت. المرجلة : الناقة. الشيظم : الطويل الجسم. ابهرقت : علت. التنوفية : المفازة والارض الواسعة. الوحي : الصوت الخفي. زيزيتم : صوت الجن.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٢ – ٣.

مايقل تداول الرواة له ويكثر الغريب فيه، وهذا خطأ من الاختيار، لان الغريب لم يكثر في كلام الا أفسده وفيه دلالة الاستكراه والتكلف »(١) :

وكانت هذه الاهداف دافعا قويا حفزهم إلى الخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الاهداف غرض المؤلفين جميعا ، ولاتكاد نجد كتابا من كتب البلاغة واعجاز القرآن يخلو من الاشارة اليها ،ولعل ماتقلناه من مقدمة كتاب الصناعتين، لابي هلال العسكري يوضح الغرض ويخدم الفكرة ويعين على تصور الدوافع الكثيرة التي كان لها الفضل الكبير في ظهور كتب البلاغة.

وقد تظافرت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها ، ويمكن ان نلمس ذلك في المفسرين والاصوليين ،واللغويين والنحاة، والشعراء والكتّاب، والفلاسفة والمتكلمين. وكانت كل طبقة من هؤلاء تتفق في كثير من الاسس وتلتقي في أهداف واضحة المعالم، وان كان رجالها يختلفون في تصورهم البلاغة

المؤثرات :

أثرت في نشأت البلاغة وتطورها عدة عوامل أهمها:

القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم ذا أثر عظيم في البلاغة ، وقد شغل الناس به وأخلصوا يتدارسونه ويوضحون معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه ومافيه من فنون وقف العرب أمامها مبهورين، وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها «أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ — بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه، لان الانسان اذا اختل علم البلاغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ماخصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وماشحنه به من الايجاز البديع» (٢) وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة انها «مابلغ بك الجنة، وعدل بك عن النار، ومابصّرك بمواقع رشدك وعواقب غيك»(٣):

(١) كتاب الصناعتين ص ٣.
(٢) كتاب الصناعتين ص ١.
(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٤.